

المواقعية في العلاج النفسي والعلاج التقليدي

الدكتورة بن عصمان برحيل جويذة

شعبة علم النفس

جامعة تلمسان

بحكم أن المواقعية هي دراسة أسماء العلم للأماكن وما انجر عنها من عدة مفاهيم 1 وبحكم أن المكان بالنسبة للعلاج النفسي هو الفضاء جاء موضوع هذه المداخلة المواقعية في العلاج النفسي والعلاج التقليدي. وسيتم تناوله من خلال المحاور التالية:

- الفضاء أو المكان في العلاج النفسي.
 - الفضاء أو المكان في العلاج التقليدي.
 - دراسة لدوافع إقبال الأفراد على العلاج التقليدي ضريح سيدي يوسف نموذجاً.
- الفضاء في علم النفس هو جزء مكاني الذي تحدث فيه مجموعة من الظواهر والأحداث المتعايشة في الزمان والمكان بالنسبة لفرد ما ويمكن إدراكها على أنها مترابطة فيما بينها. 2
- أما الفضاء في العلاج النفسي فهو المكان المادي محدد في موقع جغرافي ويدخل في هذا التعريف قاعة الاستشارة النفسية³ التي تعتبر موقع مفضل من طرف العميل وله مظاهر خاصة:
- يمنح الراحة النفسية حيث يشعر الفرد أنه موجود وكائن حي.
 - يسمح له هذا المكان بالتصريح عن كل شيء واستكشاف فضائه الخاص ولكنه يمنعه من فعل كل شيء لأن هذا المكان يشجعه على القول ويمنعه من ارتكاب الفعل.
 - يسمح له هذا المكان من حماية خصوصيته تحت قاعدة السرية⁴ التي تضمن له الأمن والطمأنينة.
 - ويسمح له بالاحتفاظ بحيز نفسي ذو قيمة عالية في عالم تداخل فيه المجال الخاص مع المجال العام.

لكن هذا المكان ممكن أن يكون موضوعا لأمراض نفسية على شكل خوف من الأماكن الضيقة أو الواسعة أو الإصابة باضطراب ما بعد الصدمة عندما يعيد الفرد معايشة الحدث الصادم كلما مر بمكان الصدمة وقد يصاب الفرد باضطرابات التكيف متعلقة بمكان ما.5

أما المكان في العلاج التقليدي فهو يجمع كل المعتقدات والتقاليد والممارسات الشعبية حول المرض النفسي وكيفية الشفاء منه بالاعتماد على أماكن معينة بعيدا عن المستشفيات والمصحات العقلية وكمثال على ذلك ضريح سيدي يوسف محدد في مكان مفعم بالبركة، شعبيته كبيرة وتأثيره أكبر. هذا التأثير العلاجي والروحي قيمته تكمن في الفضاء والمكان الذي يحتوي ضريح هذا الولي الصالح . فعلاقة المكان متجسدة عن طريق الإيمان والاعتقاد عبر التاريخ. والولي وإن كان ميتا فبركته لا تموت وهنا أصبح مفهوم الواقعية يحمل دلالة الإنسان العظيم. وذلك المكان يعالج بمجرد ما يدخله الفرد فيتجرد من كل الضغوطات التي تسبب المرض النفسي. وقد اكتسب هذا المكان قيمته من الثقافة المحلية التي أعطته طابع التخصص في مجال ما من الأمراض. والطقوس التي تمارس هي محاولة لتهدئة اضطراباته6 وهذا الحديث يجرنا إلى دراسة حول دوافع إقبال الأفراد على العلاج التقليدي وكانت تساؤلات البحث تصب في ما يلي:

هل الإقبال على العلاج التقليدي يعود إلى عدم الشفاء بالطرق الحديثة؟

هل الإقبال على العلاج التقليدي يعود إلى الاعتقاد بقدرة المعالج والمكانة التي تحصل عليها ؟ .

هل الإقبال على العلاج يعود للعادات والتقاليد؟

أقيمت الدراسة على 20 فردا لجئوا مباشرة للعلاج التقليدي 13 انثى و7 ذكور تتراوح أعمارهم بين 13 و40 سنة من مستويات مختلفة .

الجدول (1) الموالي يشير الى توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليم

المجموع الإجمالي		إناث		ذكور		
النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	بدون مستوى
10	2	15.38	2	0	0	
15	3	23.07	3	0	0	ابتدائي
15	3	15.38	2	14.28	1	متوسط
30	6	15.38	2	57.14	4	ثانوي
30	6	30.76	4	28.57	2	جامعي
100	20		13		7	المجموع

خلافًا لكل التوقعات تبين من خلال هذه الدراسة أن المقبلين على العلاج التقليدي أغلبهم من الطبقة المتعلمة. وتغلب نسبة النساء عند فئة الجامعيين.

الجدول (2) يشير إلى توزيع المبحوثين حسب المهنة.

	ذكور	إناث	المجموع		
عاطل	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
	0	0	4	30.76	30.76
قطاع التعليم	0	0	3	23.07	23.14
تاجر	4	57.14	0	0	57.69
قطاع الصحة	0	0	1	7.69	7.69
موظف	2	28.57	2	15.38	20
طالب	1	14.28	3	23.07	20
المجموع	7		13		100

يتبين من خلال الجدول أن التجار هم الفئة الغالبة بالنسبة للذكور بنسبة 54.14 ثم تليها نسبة الموظفين. وتظهر نسبة النساء أكثر اهتماما بالعلاج التقليدي عند فئة الموظفين بالمقارنة مع فئة الماكثات في البيت فالعاملات تقبلن على العلاج التقليدي وتليها فئة الطالبات. وهذا يظهر كذلك أن كلا الجنسين من ذوي المهن يهتمون بهذا العلاج.

الجدول (3) يشير إلى توزيع المبحوثين حسب أسباب الذهاب للعلاج التقليدي

	ذكور	إناث	المجموع الإجمالي		
إقبال الأفراد على التقليدي يعود الى فقدان الشفاء بالطرق الحديثة	العدد 2	النسبة 28.57	العدد 1	النسبة 7.92	العدد 3
الاعتقاد بمكانة المعالج	2	28.57	2	15.38	4
تبعا للتقاليد	3	42.85	7	58.84	10
الشفاء السريع	0	0	3	23.07	3
المجموع	7		13		20
					100

تذهب نسبة كبيرة من الذكور والإناث إلى العلاج التقليدي عملا بالعادات والتقاليد التي يمارسها الأهل .

بالنسبة للتساؤل الأول فقد تبين أن أغلب الحالات لم تلجأ إلى علاج نفسي بل اتجهت مباشرة نحو العلاج التقليدي. قد يكون السبب عدم الوعي بتفاصيل أو معلومات حول المرض النفسي لأنه غالباً ما يرتبط بالجنون فيبحث الأفراد عادة تجنب وصمة الجنون والبحث عن تفسيرات أخرى أكثر قبولاً اجتماعياً كالسحر أو العين أو مس من الجن الخ....

أما الجواب عن السؤال الثاني فظهر أن شخصية المعالج التقليدي تلعب دوراً مهماً في العلاقة بين المعالج والمريض ويساعدها في ذلك الاعتقاد الراسخ في إمكانياته.

وفيما يخص الجواب الثالث فظهر إقبال الأفراد على العلاج وفقاً لعادات وتقاليد الأهل. وعادات الناس تتبع من دوافعهم لإشباع حاجاتهم ويغلف الاعتقاد بأمكنة وأشخاص تكتسب سلطة تقليدية وتصبح بعد ذلك قوة اجتماعية لا أحد يعرف كيف نشأت ولا متى نشأت وهي بذلك تمارس ضغطاً على الأفراد لأن المعتقدات تعتبر القوى المحركة وراء كل الأفعال الاجتماعية التي يأتيها الفرد منفرداً أو مجتمعاً بالناس فيجد نفسه أمام رصيد من العادات فرضتها جماعته واتفقت عليها وما عليه سوى إتباعها.

وحتى نبقى دائماً مع مفهوم الواقعية ودورها في العلاج بصفة عامة وحتى تكون خاتمة هذه المداخلة مسكاً لا ننسى الأماكن المقدسة وعلى سبيل المثال الكعبة الشريفة التي يتجه لها الأفراد لقضاء فريضتهم أو طلب الشفاء. فالحرم المكي بما يحمله من دلالات روحية قوية ومؤيدة بنصوص صريحة مثل الصلاة الواحدة التي توازي ألف صلاة والدعاء الذي يستجاب فيه أكثر من أي مكان آخر والكعبة التي تجاور مقام إبراهيم الخليل بآثاره يخلده ويخلد آل بيته المبارك فمثلاً هاجر مخلاة بالصفاء والمروة. (والأمثلة كثيرة تحتاج إلى موضوعاً آخر).

فالمواقعية إذن مجسدة بارتباط المكان بالأسماء والحوادث لتجسد تاريخ أمة ويصبح بشهادة النصوص الصريحة مكاناً مقدساً بل فضاء علاجياً.

الهوامش:

- 1- اليوم الوطني للطبونيما يوم 2010/07 مخبر المعالجة الآلية للغة العربية.
- 2- عبد المجيد سالمي ونور الدين خالد.معجم مصطلحات علم النفس.دار الكتاب اللبناني 1998.
- 3- O.Chambon ; M.R Cardine .les bases de la sychothérapie.Dunob.Paris 2003.
- 4- أظّر أخلاقيات مهنة المعالج النفسي.
- 5- أنظر الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للأمراض العقلية والنفسية.
- 6- نور الدين طوالي. الدين والطقوس والتغيرات. منشورات عويدات بيروت-باريس 1988